

عليه ريني وليك أمراً مهماً. يقول "لقد حلل اللغويون المحدثون الأصوات الكامنة على أنها عناصر أولى ذات دلالة كما أن بإمكانهم أن يخلطوا أيضاً الوحدات الصوتية المعنوية الأولى، والوحدات النحوية؛ فالجملة مثلاً لا توصف فقط بأنها نطق مقصور على غرض معين، بل إنها طراز ترتيب الكلام." (51) ولا شك أن ابن القالبي قد ربط بين أصوات هذا النص وبين تراكيبه وبين معانيه وقد وفق في ذلك أيما توفيق.

ثم كانت الفواصل الصوتية الأخيرة للنص "... تمييزاً لهم عن الأكفاء، ومجازاة لهم عن محض الضفاء والولاء، فاستدم هذه النعمة العظيم خطرهما بالشكر فأنت به جدير..." فجاءت هذه الفواصل منطلقة الصوت معتمدة على صوت الهمزة المسبوق بألف المد لتفصح عن الغرض، وتعلن في الوقت ذاته نهاية الرسالة باقتباس من القرآن الكريم الذي زود النص بحمولة تنهل من حمولة الخطاب الديني الإسلامي، ويبدو أن أي تغيير يصيب البنية الصوتية للنص أو حتى التركيبية يؤدي إلى فساد وضياح غرضه.

لقد جاء النص فصيحاً مبيناً لفصاحة ألفاظه ووضوحها، فهي ليست غريبة وغير مخالفة للقياس في اللغة العربية، ثم إن حروفها غير متنافرة وهذه صفات اشترطها العلماء في فصاحة اللفظ. قال أحد الباحثين "وإذا كانت سمة الفصاحة تتحقق لدى المتكلم بوضوح النطق وطلاقة اللسان، فإن فصاحة الكلمة تتحقق بالتناسق أو التآلف الصوتي الذي يجعل النطق باللفظ سهلاً خفيفاً عن اللسان من جهة، كما يجعل أثره السمعي واضحاً مقبولاً على الأذن من جهة أخرى." (52) ويبدو أن نص ابن القالبي قد كان له ذلك فحقق الفصاحة المرجوة في كل نص إبداعي لتأكيد العملية التواصلية وقد ابتعد عن ظاهرة التناثر الصوتي.

ب- المستوى اللغوي:

لقد اختار ابن القالبي لنصه مستوى لغوياً تقليدياً سار فيه على نهج القدماء في كتابة النصوص النثرية، فبنى النص بناءً تركيبياً يرتكز على أنساق لغوية تستفيد من جماليات التعبير للغة العربية.

1- الأنساق اللغوية للنص:

لقد جاء النص في ثلاثة أنساق لغوية تتكون من وحدات تركيبية تتفاوت في الطول والقصر والتوزيع بحسب ورودها في النص. والتوزيع كما حدده أحد